

المؤتمر العالمي الأول للإمام الشهيد الصدر

وباندلاع الحروب في أوروبا واتساع الحركة الاستعمارية تبذرت الآمال في قدرة العالم وحده لخلق معجزة السعادة البشرية فظهر (كانت) (1724 - 1804م) ليوفق بين نظرية التقدم ونظرية العناية الإلهية، غير أنه أطلق على العناية الإلهية اسم (الطبيعة) كي يبتعد عن تبعة سمعة الكنيسة، ورأى أن روح العدوان والحروب ستستمر في البشرية ولا يمكن استئصالها لكنها تتجه بمجموعها إلى غاية مرسومة (وأن الصراع من أجل الوجود ليس كله شراً، وبالرغم من ذلك فسرعان ما يدرك البشر أن هذا الصراع يجب حصره داخل حدود معينة، وأن تنظمه القواعد والعادات والقوانين، وهنا يكمن أصل تطور المجتمع المدني) ([86]). وأكد (أن الافراد حتى لو بدا منهم أنهم يتصرفون وفق إرادتهم، فإنهم يحققون هدف الطبيعة المجهول) ([87]). ويلاحظ في آراء كانت فكرة الغائية في مسيرة البشرية وارتباط هذه الغائية بأهداف ميتافيزيقية مجهولة، وضرورة الصراع للدفاع عن الوجود، وهذا الصراع هو أساس كل نمو في البشرية ([88]). ولعل الماركسية كانت أشهر نظرية في تفسير التاريخ، غير أن المسألة العلمية والكشف الموضوعي عن واقع حركة التاريخ لم يكن يهم الماركسية، بل كان المهم فيها الدفاع عن الطبقة المسحوقة من المجتمعات في ظل طغيان الرأسمالية، ولذلك انتشرت الفكرة في البلدان المستضعفة التي شعرت فيها الشعوب بالظلم والحيث. ولا تستحق الماركسية أن نقف عند تفسيرها العلمي للتاريخ، فهي أساساً متحيزة للطبقة الكادحة وجزئية ([89])، وكل دراساتها تنحو هذا المنحى.